مات الرافـــعى

بقلم السيد محمد زيادة

إذن فقد مات مصطفى ، وانطفأ السراج الوهاج ...
وهدأت الروح النبيلة الرفافة التى ماخلقت لتهدأ ...
وفرغ الوجدان الفضفاض من هموم الانسانيـة وآلام الناس ... وسكن القلب الصخاب المتكلم ، المحلق فى أجواء السمو ، الخافق خفقات الهوى العفيف ...
وغربت النفس الأبية الملهمة الجائشة فيها خواطرُ الغيب وأسرار الكيان ...
ونام العقل الجبار الحر النافذ شعاعه إلى كل سماء يستطلع الحقائق ، المرسل سناه على كل أرض يُطلع الناس ...
وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

إذن فقد مات مصطفى وخلا من الحياة مكانه ليظل خالياً لايجد الكفؤ الذى يملؤه ...
وجنحت الشخصية الحبيبة المرموقة إلى العزلة ... عزلة الأبد
وعدمت الموهبة المخلوقة للكفاح والاصلاح ...
وانهدّت القوة الفعالة المبدعة المبدعة ...
وانحصر الميدان الآهل بعرائس الخيال الفاتنة بين جدران قبر ضيق ...
وتهيأ الأدب العربق الفتى ليزول أو زال ...
وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

إذن فقد مات مصطفى ، ورحلت البارقة الخفاقة من أفق الدنيا إلى آفاق الآخرة ...
وشال الطائر الغريد عن الحمى يرف بجناحيه رفيف الوداع ، وخفقت القلوب ، وتباكت العيون ، وذابت قطع من النفوس ، وسرى فى جو الأدب برق ورعد هز كيانه ... ثم أعقبه غبار ودخان لاح فيه سواد المصيبة ...
ووجمت الحياة من روعة ما جدّ فيها ...
وشاع فى العالم العربى أن الرافعى قد مات ...
وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

مصطفى ... أأناديك يا أبى أم يا أخى أم ياصديق ؟ ! .
إنك والله كنت الثلاثة ... كنت الوالد فى حنوّك علىّ ، واهتمامك بى ... وكنت الأخ فى استبشارك بلقيـاى وانتصارك لى ... وكنت الصديق فى إخلاصك النادر ، ووفائك المُعْجب ، وحبك النقى وعطفك الكريم
فأين بعدك الصديق ؟ .. وأين مثلك الصديق ؟ ! .
وكيف بعدك الحياة وأنت كنت العون فى الملمة ، والفرج فى الضيق ، والسّراء فى الضّراء ؟ !
لقد فقدت بفقدك ركن حياتى الثابت المدعم ؛ وشيعت فى تشييعك مسرة النفس ، وراحة الفؤاد ، وأمان العيش ؛ وقبرت معك أملا من آمالى كان أنضرها ...

* * *

مصطفى ... لقد ذهبت فلم توص ولم تودّع ... فهل من كلمة أو همسة تسر بها إلى هابطة من روحك فى السماء إلى روحى على الأرض ؟ ...
هل من إشراقة عطف يطل بها وجهك الصبوح من عليائك على صديقك الشاعر فى فقدك يفقد نفسه ، الحامل لك فى أعماقه شوق الولهان وحسرة السجين ، الواجد من بعدك كل هم وعناء ؟
هل من بَسمة ود تسطع على شفتيك فتنير وحشة النفس فى ظلام الوحدة بعد أن حرمتك وحرمت كل حبيب ؟ ...

السيد محمد زيادة

تاريخ وفاة الرافعى بالتركية

ام دنيا بى وفا دنيا قدر فضل اهلنه ،
ئولدى داهى ادب ، صور : نه يدى رسمى موقعى ؟
آلدم ابواب جناندن مصرع تاريخنى :

قدريكى	بيلسين	ملكار	آسمانده	رافعى !
٣٤٤	١٦٢	٣٢٠	١٦١	٣٦١

١٣٤٨ المجموع
٨ مضافة إلى المجموع مقتبسة من عدد أبواب الجنة الثمانية
١٣٥٦ المشار إليها فى المصراع الثالث

ترجمة البيتين :

ان أم الدنيا (١) كالدنيا فى عدم وفائها الذوى الفضل والأدب ، فقد مات أكبر الكتاب وهو من صغار الموظفين فى الحكومة ! فاستعرت مصراعا لتاريخ وفاته من أبواب الجنة الثمانية وقلت : ليقدر الملائكة قدرك فى السموات أيها الأستاذ الرافعى . ابراهيم صبرى
نجل شيخ الاسلام السابق للدولة العثمانية

(١) (أم الدنيا) من الأسماء التى يكنى بها فى الأدب التركى عن مصر .